@ 213 @ زعموا الإيمان به أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به ، موجود هو أو مثله ، أو ما هو فوقه النبي الذي كفروا به . وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به ، موجود مثلها ، أو أعظم منها ، فيمن آمنوا به . فلم يبق بعد ذلك ، إلا التشهي والهوى ، ومجرد الدعوى ، التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها . ولما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقا ، ذكر عقابا شاملا لهم ، ولكل كافر فقال : ^ (وأعدتنا للكافرين عذابا مهينا) ^ كما تكبروا عن الإيمان با ، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي . ! 2 ! 2 وهذا يتضمن الإيمان ، بكل ما أخبر ا به عن نفسه ، وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام . ! 2 2 ! بل آمنوا بهم كلهم . فهذا هو الإيمان الحقيقي ، واليقين المبني على البرهان . ! 2 2 ! أي : جزاء إيمانهم ، وما ترتب عليه ، من عمل صالح ، وقول حسن ، وخلق جميل ، كل على حسب حاله . ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم . ! 2 2 ! يغفر السيئات ويتقبل الحسنات . ^ (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السمآء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا ا جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جآءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا * ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا * فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات ا وقتلهم الأنبيآء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع ا عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول ا وما قتلوه وما صلبوه ول كن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه ا إليه وكان ا عزيزا حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا * فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل ا كثيرا * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) ^ هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب ، للرسول محمد صلى ا عليه وسلم ، على وجه العناد والاقتراح ، وجعلهم هذا السؤال . يتوقف عليه تصديقهم ، أو تكذيبهم . وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة ، كما نزلت التوراة والإنجيل . وهذا غاية الظلم منهم ، فإن الرسول ، بشر عبد ، مدبر ليس في يده من الأمر شيء ، بل الأمر كله . وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده ، كما قال تعالى عن الرسول ، لما ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين عليه صلى ا عليه وسلم ، !

2 2 ! . وكذلك جعلهم الفارق ، بين الحق والباطل ، مجرد إنزال الكتاب جملة ، أو مفرقا ، مجرد دعوى ، لا دليل عليها ، ولا مناسبة ، بل ولا شبهة . فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء ، أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ، نزل مفرقا ، فلا تؤمنوا به ، ولا تصدقوه ؟ بل نزول القرآن مفرقا بحسب الأحوال ، مما يدل على عظمته ، واعتناء ا بمن أنزل عليه كما قال تعالى : ^ (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) ^ . فلما ذكر اعتراضهم الفاسد ، أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم . بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ، ما هو أعظم مما سلكوا مع الرسول ، الذي يزعمون أنهم آمنوا به ، من سؤالهم له ، رؤية ا عيانا ، واتخاذهم العجل إلها يعبدونه ، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ، ما لم يره غيرهم . ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم ، وهو التوراة ، حتى رفع الطور من فوق رؤوسهم ، وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا ، أسقط عليهم ، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض ، والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري . ومن امتناعهم من دخول أبواب القرية ، التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين ، فخالفوا القول والفعل . ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت ، فعاقبهم ا تلك العقوبة الشنيعة . وبأخذ الميثاق الغليظ عليهم ، فنبذوه وراء ظهورهم ، وكفروا بآيات ا ، وقتلوا رسله بغير حق . ومن قولهم : إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه . والحال أنهم ما قتلوه وما صلبوه ، بل شبه لهم غيره ، فقتلوا غيره وصلبوه . وادعائهم أن قلوبهم غلف ، لا تفقه ما تقول لهم ، ولا تفهمه . وبصدهم الناس عن سبيل ا ، فصدوهم عن الحق ، ودعوتهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي . وبأخذهم السحت ، والربا ، مع نهي ا لهم عنه ، والتشديد فيه . فالذين فعلوا هذه الأفاعيل ، لا يستنكر عليهم أن يسألوا الرسول محمدا ، أن ينزل عليهم كتابا من السماء . وهذه الطريقة ، من أحسن الطرق ، لمحاجة الخصم المبطل . وهو : أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل ، ما جعله شبهة له ولغيره ، في رد الحق ، أن يبين من حاله الخبيثة ، وأفعاله الشنيعة ، ما هو من أقبح ما صدر منه ، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي الخسيس ، وأن له مقدمات يجعل هذا معها . وكذلك كل اعتراض يعترضون به ، على نبوة محمد صلى ا عليه وسلم ، يمكن أن يقابل بمثله ، أو ما هو أقوى منه ، في نبوة من يدعون إيمانهم به ، ليكتفى بذلك شرهم ، وينقمع باطلهم . وكل حجة سلكوها ، في تقريرهم لنبوة من آمنوا